﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: 3]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

سماعُ القرآن والإيمانُ به يستلزمُ تنزيهَ الله عن تشبيهه بخلقه

بعد استماعِ النفر من الجنّ إلى القرآن وإيمانهم به؛ تنبَّهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرةُ الجنّ من تشبيه اللّه بخلقه واتخاذه صاحبة وولدًا، فاستعظموه، ونزّهوه عنه، فقال حكاية عنهم: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَعَٰلَىٰ﴾: فعلٌ مِنَ علا يَعْلو عُلوًّا، والأصلُ في العينِ واللّامِ والحرفِ المعتلِّ دلالتُه على السُّموِّ والارتفاعِ والشَّرفِ[2]، والعلوُّ: العظمةُ والتَّجبُّرُ، وهو ضدُّ السّفلِ، واللّه سبحانَه تعالى رفعةً وتشريفًا[3]، وصفةُ (المُتعال) "صفةٌ للّهِ تعالى بمعنى علوِّ أمرِهِ وصفاتِهِ، لا باعتبار مكانٍ تَعالى عن ذلك..."[4]، و﴿تَعَٰلَىٰ﴾: ارتفَعَ، فتَنزَّهَ عن إفكِ المُفترينَ والمُشركينَ[5]، وهو المعنى المُرادُ في الآيَةِ.

2) ﴿جَدُّ﴾: (جدد) أُصولٌ ثَلاثَةٌ: الأوَّلُ العَظَمَةُ، والثّاني الحَظُّ، والثّالِثُ القَطْعُ، يُقالُ: جَدَّ الرَّجُلُ في عَيْني، أي: عَظُمَ، وفي التَّنْزيلِ العَزيزِ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، قيلَ: جَدُّه عَظَمَتُهُ، وقيلَ: غِناهُ[6]، والجَدُّ: العظمة والجلال، وقوله: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، أي: تعالى جلاله

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 632، وسيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 4/ 132.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علو).
(3) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة: (علو).
(4) السّمين، عمدة الحفّاظ: (علو).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (علو).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (جدّ).

وعظمته وأمره[1]، والمعنى وصفُه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته، أو لسلطانه أو لغناه[2].

3) ﴿صَٰحِبَةً﴾: اسمُ فاعلٍ مُؤنَّثٌ، وأصلُ (صحب) يدُلُّ على مُقارنةِ شيءٍ ومُقاربته، وكلُّ شيءٍ لازمَ شيئًا؛ فقد استصحبه[3]، فالصّاحِبُ هو المعاشرُ والمُلازِمُ، ولا فَرقَ بينَ أنْ تكونَ مُصاحَبَتُهُ بالبدنِ - وهو الأصلُ والأكثَرُ - أو بالعنايَةِ والهِمَّةِ[4]، ومعنى الصّاحبة هنا: الزّوجةُ، فهي تصاحبُ الزَّوجَ في غالبِ أحوالِهِ، والمقصودُ في الآية: تنزيهُ الله عن اتّخاذ الزوجة؛ لأنّ اتخاذ الصاحبة؛ للافتقار إليها؛ لأنسها وعونها والالتذاذ بصحبتها، وكلّ ذلك من آثار الاحتياج، والله تعالى الغني المطلق[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قال تعالى حكاية عن الجنِّ: وأنّ الأمرَ والشأن أنّه ارتفعَ، وتعاظمَ جلالُ ربنا، وتنزّه في ذاته وصفاته، عن أنْ تكون له صاحبةٌ، أو أنْ يكون له ولد، كما زعم الزاعمون من الكافرين الجاهلين[6].

تعظيمُ الجنِّ لله وتنزيههم له سبحانه عن اتخاذِ الصاحبة والولد

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله ﴿وَأَنَّهُۥ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ عاطفة، عطفتْ هذه الجملة على ما قبلها، فهذا من كلام الجنّ وحديثهم لقومهم، فبعد أنْ أخبروهم أنّهم استمعوا للقرآن، وآمنوا به، ولن يشركوا بالله أحدًا؛ أخذوا بالثناء على الله تعالى وتعظيمه وتنزيهه عن اتخاذ الزوجة والولد.

بعد استماعِ الجنّ للقرآن وإيمانهم به أخذوا في الثناءِ على الخالق وتنزيهه

(1) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 649، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 222.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 251.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صحب).
(4) الرّاغب، المفردات: (صحب).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 23/ 653، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/ 222.
(6) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 133، والحجازي، التفسير الواضح: 3/ 759.

توجيه القراءات في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾:

في الجمع بين القراءتين ثراءٌ في المعنى وتأكيدٌ لإيمان الجنّ

قرأ ابْنُ عامِرٍ، وحَمْزَةُ، والكِسائيُّ، وخَلَفٌ، وحَفْصٌ بِفَتْحِ الهَمْزَةِ في: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾، وقرأ الباقون بكسرها: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾[1]، فمن قرأه بالفتح؛ فعلى أنّه معطوف على محلّ الجار والمجرور في قوله: ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾، فكأنه قيل: فصدقناه، وصدقنا أنّه تعالى جدّ ربنا، أي: آمنا به وبكل ذلك، أو معطوف على ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾؛ لأنّها مصدرية، أي: جعله من جملة الموحى به، والمعنى: أوحي إليَّ أنّه استمع نفر من الجن، وأوحي إليّ أنّه تعالى جدّ ربنا، ومن قرأ بالكسر؛ فعلى أنّه معطوف على المحكي بعد القول، أي: قالوا: إنا سمعنا قرآنًا عجبًا، وقالوا: إنّه تعالى جدّ ربنا، أي: جعله من كلام الجنّ[2]، وفي الجمع بين القراءتين ثراءٌ في المعنى، أي: هم قالوا ذلك، وآمنوا به، وأوحي إلى النبي ﷺ بذلك، وهذا التوجيه ينطبق على كل الآيات التي افتُتِح مطلعها بـ (أنّه)؛ ولذلك أعرضنا عن تناولها تجنّبًا للتكرار.

بلاغة التوكيد بـ(أنّه) واتصاله بضمير الشأن:

المبالغةُ في نفي الصاحبة والولد عن الله؛ تأكيدًا على تنزيهه سبحانه

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ أكّد البيانُ الحكيم بحرف التوكيد (أنّ) تنزيهَ الله تعالى عن الضعف والحاجة والصاحبة والولد، وسببُ هذا التأكيد أنّه "مسوقٌ إلى فريق يعتقدون خلافَ ذلك من الجنّ"[3]، وقد أفادَ اتصالُ حرف التوكيد (أنّ) بضمير الشأن تعظيمَ هذا التأكيد وتفخيمه[4].

فائدة التعبير بالاعتراض في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ﴾:

في التعبير بالاعتراض مبادرة بالتنزيه؛ إذ التعالي في اللغة

في التعبير بالتعالي مبالغةٌ في الثناءِ على الله تعالى

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 391.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 22/ 282، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 8، وسيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 132.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 223.
(4) الزحيلي، التفسير المنير: 29/ 161.

يدلّ على العلوّ والسُّموِّ والارتفاعِ والشَّرفِ والعظمةِ والتَّجبُّرِ[1]، فلفظُ ﴿تَعَٰلَىٰ﴾ يفيدُ العلوَّ المطلق، ذاتًا وقدرًا ومنزلة، وقهرًا وسلطانًا، و"جُعِلَ شَديدَ العُلوِّ كالمتكلِّف العلوَّ لخُروجِ علوِّهِ عَنْ غالبِ ما تَعارَفَهُ النّاسُ، فَأشْبَهَ التَّكَلُّفَ"[2]، فاللّهُ سبحانَه تعالى رفعةً وتشريفًا وتعظيمًا وتجبُّرًا، وتقدَّس في ذاته وفي صفاته.

سرّ الاكتفاء بـ: ﴿تَعَٰلَىٰ﴾:

في إثباتِ العلوّ والارتفاعِ والشرفِ لعظمةِ اللهِ وجلالِه إقرارٌ بسلطانه وغناه

في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ اكتفى البيانُ القرآني بقوله: ﴿تَعَٰلَىٰ﴾، ولم يُقَلْ: (سبحانه وتعالى جدّ ربنا)؛ للمناسبة المعنوية، فلفظُ ﴿تَعَٰلَىٰ﴾ الذي يحملُ معنى العلوّ والارتفاع والشرف والعظمة، يتناسبُ مع السياق الذي هو رفعُ الشأن والردّ على الافتراء، ويدور حول إثباتِ العظمةِ والجلال لله تعالى، ويتناسبُ أيضًا مع لفظ ﴿جَدُّ﴾ الذي يدلّ على العظمة والجلال والغنى، أمّا لفظ (سبحانه)؛ فيكون للتنزيه المطلق عن النقائص غالبًا.

دلالة التّعبير بقوله: ﴿جَدُّ﴾:

تعالى اللهُ، وتنزّهَ عن الصاحبة والولد لعظمته ولسلطانه ولغناه

عبّر البيانُ القرآني بلفظ ﴿جَدُّ﴾ دون (عظم)، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾؛ لاتّساع دلالة لفظ ﴿جَدُّ﴾ ومناسبته للسياق؛ إذ لفظ ﴿جَدُّ﴾ يدلّ على العظمةِ والجلال والسلطان والغنى[3]، والمعنى: تعالى اللّهُ، وتنزّهَ عن الصاحبة والولد؛ لعظمته وجلاله ولسلطانه ولغناه المطلق.

الغرض من الإضافة في قوله: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾:

العظمةُ والجلالُ والغنى خاصّ بربنا لا يشاركه فيه أحد

الإضافة في قوله تعالى: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف، وقد دلّتْ على التخصيصِ والاستحقاقِ والتعظيم والتشريف، فالجدُّ والعظمةُ والجلالُ والغنى خاصّ بربنا لا يشاركه

(1) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (علو).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 222.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (جدّ).

فيه أحد، وهو المستحقُّ وحده سبحانه لجميع أنواعِ العظمة والجلال والغنى والكمال المطلق.

سرّ التعبير بالربوبية دون الألوهية:

الاعـتـراف بالربوبية تنزيهٌ لـه سبحانه عـن الشريكِ والصاحبة والولد

آثرَ البيان القرآني التعبير بلفظ الربوبيّة في قوله:﴿رَبِّنَا﴾؛ لمناسبته للسياق السابق واللاحق الذي ينزّه الربّ عن الشريك وعن اتخاذ الصاحبة والولد؛ لأنّ الربّ الخالق المالك المتصرّف المدبّر لا يحتاج من يشاركه في ملكه وتدبيره، ولا يحتاج إلى ولد، فهو مستغنٍ عن الزوجة والولد سبحانه، ومن ثمّ فهو وحده المستحقّ للعبادة.

عود ضمير الجماعة في قوله: ﴿رَبِّنَا﴾ وإضافته:

إقـرارٌ جماعي مـن الـجـنّ باختصاصِ الربّ بتدبيرِ أمورهم والتصرّف بها

ضميرُ الجماعة في قوله: ﴿رَبِّنَا﴾ عائدٌ على كلّ متكلّم مع تشريكِ غيره، فعلى تقدير أنّه من كلام الجنّ، فهو قولُ كلّ واحدٍ منهم عن نفسه ومن معه من بقية النفر[1]، وفي التعبير بضمير الجماعة دلالةٌ على الإقرارِ والاعتراف الجماعي بالرّبوبية وتنزيهه وتعظيمه سبحانه ممّا يعطي الكلام قوةً وحجّة، وتفيد الإضافة كذلك الاختصاصَ والتشريف، أي: الربّ الخاصّ بنا والمالك لنا والمختصّ بتدبيرِ أمرنا ورعايتنا ورزقنا.

دلالة ترك العطف في قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً﴾:

عـدمُ اتـخـاذ الصاحبة والولد بـيـانٌ لِـحُـكـمِ تـعـالي جَـدِّهِ سبحانه

فَصَلَ البيانُ الإلهيّ قوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ عمّا قبله، ولم يربطْ بينهما بعاطف؛ لِما بين الجملتين من كمالِ اتصال، فقد جاءتْ جملة: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بدل اشتمال من جملة: ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، أي: بيان وتفسير لما قبله، أي: بيانٌ لِحُكمِ تعالي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 223.

جَدِّهِ سبحانه[1]، أو لكونها استئنافًا بيانيًّا، كأنه قيل: ما الذي تعالى عنه؟ فقيل: ما اتّخذ صاحبةً ولا ولدًا[2].

سرّ النفي بـ﴿مَا﴾:

تأكيدُ نفي اتخاذِ الله للصاحبةِ والولد مبالغةٌ في تنزيهِهِ سبحانه عن كلّ نقص

آثرَ البيانُ الحكيم استعمالَ ﴿مَا﴾ دون غيرها من أدواتِ النفي، في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، فلم يقل مثلًا (لم يتخذ صاحبة)؛ لقوَّةِ النفي بها؛ إذ إنّ ﴿مَا﴾ تُستخدمُ لنفي كلٍّ من الفعل الماضي والمضارع على حدّ سواء، ولو عبّر بأداة النفي (لم)؛ لأفادتْ نفي الماضي فقط، ومِنْ ثَمّ أفادَ النفي بـ﴿مَا﴾ التأكيد على معنى عِظَم الله تعالى، وغناه المُطلق وتنزّهه عن كلّ شائبةِ نقْصٍ، وهو كذلك مبالغة في تأكيد المعنى الأول.

دلالة نفي الاتخاذ:

المبالغةُ في نفي اتخاذِ الله للصاحبة والولد مبالغةٌ في تنزيههِ سبحانه

عبّر البيانُ القرآني بنفي الاتخاذ في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ دون غيره من الألفاظ، فلم يقلْ مثلًا: (ما جعل)؛ لاتّساع لفظِ الاتخاذ لعدّة معانٍ؛ إذ أصله يدلُّ على حَوز الشيء وتحصيله[3]، والاتخاذ افتعالٌ من الأخذ، ومن معانيه الكسب، والصنع، والجَعْل، والعمل[4]، وهذا يتناسبُ مع السياق هنا الذي يبالغُ في تنزيه الله تعالى ونفي اتخاذه لأيّ صاحبةٍ أو ولد، سواء بالولادة أو بالتبنّي أو بالجعل أو بالصُّنع أو بالحَوز والتَّحصيل، إمّا استعانة، وإمّا اعتمادًا، وإمّا اعتدادًا، وإمّا امتدادًا، فيشمل من قالوا: الملائكة بنات الله، ويشمل اليهودَ القائلين: عزيرٌ ابن الله، ويشملَ النصارى الذين قالوا: عيسى ابن الله.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 43، وسيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 133، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 222.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 295.
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: 2/ 57.
(4) الزبيدي، تاج العروس: (تخذ).

نكتة التنكير قوله: ﴿صَٰحِبَةً﴾:

نفيُ اتخاذِ الله لأيّ صاحبة مبالغةٌ في تنزيهه سبحانه

أفادَ تنكير ﴿صَٰحِبَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ المبالغةَ في النفي، والمبالغة في تنزيه الله تعالى عن اتخاذِ أي صاحبة أو زوجة، فالنكرة في سياق النفي تفيدُ العموم والاستغراق.

سرّ تكرار النفي في قوله: ﴿وَلَا وَلَدًا﴾:

في استدلالِ نفي اتخاذ اللهِ للصاحبة الولد مبالغةٌ في تنزيهه سبحانه

كرّرَ النّظمُ الحكيمُ النَّفي بـ(لا) مع العطفِ في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، ولم يقلْ: (ما اتخذ صاحبة وولدًا)؛ "للتأكيد؛ لِلدَّلالَةِ عَلَى أنَّ المَعْطوفَ مَنْفيٌّ باستِقْلالِهِ؛ لِدَفْعِ تَوَهُّمِ نَفْيِ المَجْموعِ"[1]، أي: نفي اتخاذِ الله أيّ صاحبة، ونفي اتخاذه سبحانه أيّ ولد، وهذا أبلغُ في تنزيهِ الله سبحانه.

سرّ تقديم الصاحبة على الولد:

انتفاءُ الصاحبة من لوازمِ انتفاءِ الولد

قدّمَ النظمُ الحكيمُ الصاحبةَ على الولد، في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾؛ لكون الصاحبة مظنّةَ وجود الولد، أي: مراعاةً للأسبقية والسببية، فالولدُ إنّما يكون من الصاحبة، وانتفاءُ الصاحبة من لوازم انتفاءِ الولد، فهو قطعٌ لدابر الشبهةِ من أصولها.

دلالة الاقتصار على انتفاء اتخاذ الصاحبة والولد:

كان شائعًا في علم الجنّ ما كان يعتقده المشركون أنّ الملائكة بناتُ الله

الاقتصارُ في بيان (تعالي جدّ ربنا) على انتفاءِ الصاحبة عنه والولد، في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، ينبئُ بأنّه كان شائعًا في علمِ الجنّ ما كان يعتقده المشركون أنّ الملائكة بناتُ الله، وما اعتقادُ المشركين إلّا ناشئٌ عن تلقينِ الشيطان، وهو من الجنّ، ولأنّ ذلك ممّا سمعوه من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: 101][2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 223.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 223.

بلاغة التعبير بقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ في إثبات الوحدانية:

اتخاذُ الصاحبة والولد ينافي العظمةَ والكمال المطلق

في نفي الزوجة والولد عن الله تعالى إثباتٌ لوحدانيته سبحانه؛ لأنّ الصاحبةَ تُتَّخذُ للحاجة إليها، ولأنّها من جنسِ الزوج، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: 21]، والولدَ يُتَّخذُ للتكثُّر، والاستئناسِ به، والحاجةِ إليه حين الكبر وبقاء الذِّكر والشهرة، وهذه من لوازم الإمكان والحدوث، واللّهُ سبحانه منزّهٌ عن ذلك، تعالى ربُّنا علوًا كبيرًا أنْ يكون ضعيفًا ضعفَ خلقه الذين تضطرهم الشهوةُ إلى اتخاذِ صاحبةٍ أو ملامسةٍ يكون منها الولد[1]، فضلًا عن أنّ "المحتاجَ لا يصحّ أصلًا أنْ يكون إلهًا، وإنْ كان بغيرِ تسبيبٍ ومهلة، فهو عبثٌ؛ لأنّ مطلقَ الاختراع مغنٍ عنه، فلم يبقَ إلّا العبثُ الذي يُنَزَّهُ الإلهُ عنه"[2]، وكأنّ الجنَّ نبَّهوا بهذا على خطأ الكفّار الذين ينسبون إلى الله الصاحبةَ والولد[3].

توجيه المتشابه اللفظي بين نفي الصاحبة والولد هنا وبين نفي الولد في الإسراء:

مبالغةُ الجنّ في الثناءِ على الله وتنزيهه مدعاةٌ لنفي الصاحبة والولد

في سورة الجنّ نفى البيانُ القرآني اتخاذَ الصاحبة والولد عن الله، فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، بينما في سورة الإسراء نفى اتخاذَ الولد فقط في قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: 111]، وتوجيهُ ذلك هو مناسبةُ كلّ آيةٍ لسياقها، فالآيةُ في الجنّ سياقها يركّزُ على مبالغةِ الجنّ في الثناءِ على الله وتنزيهه، فجاء النفيُ شاملًا للصاحبة وللولد؛ وذلك لأنَّهم لَمّا سمعوا القرآن، ووفِّقوا للتوحيد والإيمان؛ تنبّهوا على خطأ ما اعتقده كفرةُ الجنِّ من تشبيه الله

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 9، والهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 295.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 468.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 365.

بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد، فاستعظموه، ونزّهوه تعالى عنه لعظمته وسلطانه أو لغناه[1]، وأمّا في سورة الإسراء؛ فالسياقُ في ذكرِ استحقاقه للحمد والتمجيد، فكان التركيزُ على أبرزِ شبهة، وأكثرها انتشارًا، وهي اتخاذ الولد.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصاحبة والزوجة:

في نفي اتخاذِ الله لأيّ صاحبةٍ من زوجةٍ وغيرها مبالغةٌ في تنزيهه

الصاحبةُ أعمُّ من الزوجة؛ إذ تُطلَقُ الصاحبةُ على زوجةِ الرجل وامرأته وصديقته وخليلته، أي: تُطلَقُ على كلّ من صاحبها ولازمها وعاشرها؛ إذ أصلُ الصحبة يدُلُّ على المقارنة والمقاربة والملازمة والمعاشرة، وسواءٌ كانت المصاحبة بالبدنِ - وهو الأصلُ والأكثَرُ - أو بالعنايَةِ والهِمَّةِ[2]، ومن هنا كان استعمالُ الصاحبة أنسبَ وأبلغَ في النفي؛ لينفي أنْ يكونَ للّه تعالى أيّ صاحبةٍ من زوجة وغيرها.

الولد والابن:

نفيُ اتخاذِ الله للولد أبلغُ في تنزيهه سبحانه

الولدُ يقتضي الولادة، ومن أمثالِ العرب: (وُلْدُكِ مَنْ دَمَّي عَقِبَيْكِ)، أي: من نُفِسْتِ به، فهو ابنُكِ حقيقةً لا مَن اتَّخَذْتِه، وتَبَنَّيْتِه، وهو مِن غيرك، وأمّا الابنُ؛ فلا يقتضي الولادة، ولا يُسمّى الإنسانُ والدًا إلّا إذا صارَ له ولدٌ، وليس هو مثل الأب؛ لأنّهم يقولون في التكنيةِ: أبو فلان؛ وإنْ لم يلدْ فلانًا، ولا يقولون في هذا: والدُ فلان[3]، أي: لا يُشترط في الابنِ أنْ يكون من نسلِ الأبِ، فقد يكون ابنًا بالتبنّي، ويسمّى ابنًا، فضلًا عن أنّ الولدَ يُطلق على الذكر والأنثى، أي: على الابن والابنة، في حين يُطلَق الابنُ على الذكر فقط[4]، واستعمالُ لفظ الولد في الآية أنسب؛

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 295.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (صحب).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 281 - 282، والزبيدي، تاج العروس: (ولد).
(4) الزبيدي، تاج العروس: (ولد).

ليشمل الذكور والإناث، فقد ادّعتِ اليهودُ والنصارى وطوائف من المشركين الذكورَ والإناث لله، فالآيةُ هنا تبالغ في تنزُّه الله سبحانه عن اتخاذه الولد، تعالى اللهُ عما يقولون علوًّا كبيرًا.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"